مفهوم الفلسفة

هنالك اختلاف قديم حديث في تحديد وصياغة تعريف نهائي للفلسفة، ويرجع ذلك إلى تعدد الفلسفات والمدارس الفلسفية من جهة، وإلى طبيعة موضوعها المختلف الماورائي من جهة أخرى، فهو ليس بتجريبي أو رياضي واضح المعالم والأبعاد؛ ليكون له تعريف واحد واضح محدد، لكن رغم ذلك نجد عدة تعريفات إصطلاحية لها.

يختلف تعريف الفلسفة اصطِلاحاً عند الفلاسفة إذ يُعرّفها الفارابي بأنّها: (**العلم بالموجودات بما هي موجودة**)، أمّا عند الكنديّ فإنّ الفلسفة هي: (**علم الأشياء بحقائقها الكليّة**) حيث يُؤكّد أنّ الكُليّة هي إحدى خصائص الفلسفة الجوهريّة التي تُميّزها عن غيرها من العلوم الإنسانيّة. ويرى ابن رُشد (**أنّ التّفكير في الموجودات يكون على اعتبار أنّها مصنوعات، وكلّما كانت المعرفة بالمصنوعات أتمّ كانت المعرفة بالصّانع أتمّ**) وقال كانت (الفلسفة هي المعرفة الصادرة من العقل)، وقد مرّ معنا تعريف أرسطو لها بأنها: (**العلم النظري بالأسباب الأولى والمبادئ**).

وكما مرّ معنا فالفلسفة (**philosophyia**) لغةً مؤلفة من مقطعين هما (**Philo**) الذي يعني (**محب أو حب**)، و(Sophyia) أي (**الحكمة**)؛ عليه يكون المصطلح المركب لها (**= حب الحكمة**)، أي البحث عن المعرفة بشكل عام.

والتفلسف جهد عقلي يستهدف الكشف عن الحقيقة وإزالة الغموض عنها عبر منهج ثابت محدد. قيل إن فيثاغورس هو أول من أطلق مصطح (**محبو الحكمة**) على الذين يقتصرون في دراستهم على طبيعة الأشياء ويدَعون ما سوى ذالك من ألوان المعرفة، أي ليس بوسعهم تجاوز دراسة طبيعة الأشياء والوصول إلى حقيقتها؛ لذلك حين شعروا بمحدودية معرفتهم لم ينعتوا أنفسهم بالحكماء، بل هم (**محبو الحكمة**).

ويرى البعض أن اصطلاح الفلسفة قد أطلقه للمرة الأولى تلامذة سقراط (**إفلاطون وأرسطو وحواريهما**)، حين أجرى إفلاطون مقارنة بين الفيلسوف **والسوفسطائي**، عندما كان السوفسطائيون يمتهنون المعرفة للتكسب وجني الأرباح من خلال التنقل من مكان لآخر؛ لتعليم الطلاب والهواة مقابل المال، بينما كان الفيلسوف يتبنى المعرفة لذاتها لا لغرض آخر ربحي أو غيره. وهو حال **سقراط** الذي سخّر حياته للمعرفة دون أجر أو مقابل، ونعتَ نفسه بالفيلسوف أي (**محب الحكمة**) رغم مكانته العلمية التي يشهد بها الجميع؛ ليوصل رسالة إلى السوفسطائيين مفادها: إذا كنا نحن من سخر حياته ونفسه للمعرفة والعلم فلاسفةً (**= محبي الحكمة**)، فكيف يكون حال الجهلة (**=السوفسطائيين**) الذين يظنون أنفسهم علماء بكل شئ وهم خلاف ذلك؟!

لقد حصر **سقراط** الحكمة ومعرفتها بالآلهة دون غيرها وكل من هو ليس بإله فهو محب للحكمة وليس حكيما.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن **فيثاغورس** هو أول من استخدم مصطلح الفلسفة بقوله: (إن من الناس من يستعبدهم التماس المجد، ومنهم من يستذله طلب المال، وقلة منهم الذين يستخفّون بكلّ شئ وتقبل على البحث عن طبيعة الاشياء، أولائك الذين يسمون أنفسهم محبي الحكمة أي الفلاسفة).

والراجح لدى البعض أنّ **"هيرودوتس"** هو أول من استعمل الفعل **"يتفلسف"** حيث ورد في بعض أثاره أنّ **قارون** قال **لصولون**: (سمعت أن رغبتك في المعرفة حملتك على أن تطوف في البلاد **متفلسفا**). وهكذا يتضح أن **التفلسف** عنده يراد به طلب العلم دون غرض أو مقابل. والى مثل هذا المعنى ذهب **"ثيوكيديس"** بقوله: (نحب الجمال من غير سرف، ونميل إلى الحكمة في غير ضعف)، فكان التفلسف بهذا المعنى جهدا عقليا يستهدف كشف معرفة بدافع الشعور الجهل، والباعث إليه هو اللذة العقلية الخالصة دون عقيدة أو دين.

أطلق **أرسطو** الفلسفه على العلم بأعم معانيه النظرية من طبيعيات ورياضيات والهيات, والعملية من أخلاق وسياسة واقتصاد, واعتبر الفلسفة بمعناها الضيق **"الميتافيزيقا"** أي مابعد الطبيعة وهي علم الموجودات بعللها الأولى.

لقد كان أهم مايميز الفلسفة عند القدماء أنها لاتهدف إلى دراسة فروع المعرفة المختلفة لذاتها بل كانت تتضمن العلوم لكي تضعها في نسق أو إطار واحد, فلم تكن الفلسفة علماً خاصاً ولاهي مجموعة العلوم وانما هي بحث في الموجودات باعتبارها مكونة كلا واحدا يتصل بعضه ببعض, **فالفلسفة علم المبادئ الأولى والعلل البعيدة**، ثم غلبت الروح **الصوفية** على تفكير الفلاسفة, فحاول **فيلون** أن يوفّق بين **اليهودية والهلينية** وفقد لفظ الفلسفة كل معنى له كما يقول **تسيلر**.

اما **في العصر الوسيط** فقد استمر مفهوم الفلسفة عند بعض فلاسفة هذا العصر باعتبارها **رغبة في التماس الحقيقة لذاتها**, إذ فرّقوا بين العلم الذي يهتدي اليه العقل بالنظر والمعرفة التي ينزل بها الوحي, واخص ما يميز هذه المرحلة محاولة **التوفيق بين الوحي والعقل, والبرهنة على أن الحقائق الموحى بها من الله ليست الا تعبيراً عن العقل**، ومن ثمّ كان الإيمان ضرورياً للعقل وشرطاً لصحة تفكيره كما قال القديس انسلم.